أسعد زوج عرفته الدنيا

الحديث هنا عن خير رجل عرفته البشرية، وأسعد رجل في الحياة الزوجية، وأحذق الناس تعاملاً مع المشاكل الأسرية، ومن يكون هذا الرجل إن لم يكن نبينا محمداً ﷺ؛ فلنتبين أخباره مع أحب نسائه إليه عائشةَ رضي الله عنها؛ فهذا شيءٌ من سيرته معها يُسر به الخاطر، ويهتدي به القلِقُ الحائر:

تحدث عائشة رضي الله عنها فتقول: «إن أول شيء يبدأ به النبي ﷺ إذا دخل بيته هو السواك»[(١)]؛ وقد ذكر أهل العلم الحكمة من ذلك بأن يستقبل أهله بريح طيبة.

وبعض الأزواج لا يبالي برائحته، وهذا أمر ينفِّر منه أهله، وربما شتت شمله؛ فكما يطلب الزوج من زوجته أن تكون بأحسن الروائح، فليكن لها كذلك؛ فإن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

ولم يكن النبي ﷺ مستنكفاً عن خدمة نفسه في بيته، وهو سيد ولد آدم؛ فقد سئلت عائشة رضي الله عنه ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟ فقالت: «كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣).

يعمل الرجال في بيوتهم»[١].

إذن فليس عيباً أن يعمل الرجل ببعض أعمال المنزل؛ إذ هو فعل الأكابر، وهو اقتداء بسيد الأوائل والأواخر.

ومرة حدثت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ بخبر طويل عن إحدى عشرة زوجة اجتمعن وتعاهدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً؛ فلم يقطع كلامها، ولم يستثقل مقامها؛ بل ظل مستمعاً منصتاً، لم يمنعه من ذلك كثرة أشغاله، وعظم أعبائه[٢].

إن إتقان فنِّ الاستماع للزوجة سبيل إلى مودتها، ودليل على حسن رعايتها.

وكان ﷺ لا يجد غضاضة في أن يعلن حبه لزوجته؛ فقد سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: «أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ فقال: **عائشة**»[٣].

وكان ﷺ يترجم الحب واقعاً عمليّاً؛ فكانت عائشة تشرب الشراب وهي حائض، ثم تناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيها فيشرب، وتتعرق العَرْق[٤] ـ وهي حائض ـ ثم

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٩٠٣).
(٢) وهو الحديث المعروف بـ: «حديث أم زرع» وقد أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).
(٤) **العَرْق هو**: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم. ينظر: النهاية، لابن الأثير (٣/ ٢٢٠).

تناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيها فيأكل[١].

ولم يكن حبُّ النبي ﷺ لها مانعاً من الإنكار عليها إذا أخطأت؛ فقد قالت عائشة رضي الله عنها ـ مرة ـ: حسبك من صفية كذا وكذا ـ تعني قصيرة ـ، فقال النبي ﷺ: «**لقد قلت كلمة لو مُزِجَت بماء البحر لمزجته**»[٢].

وكان ﷺ يتكئ في حجرها وهي حائض، ثم يقرأ القرآن[٣].

وكانت تقول: «كان رسول الله ﷺ يأمرني فأتزر، فيباشرني وأنا حائض»[٤].

فأين هذا ممن إذا حاضت زوجته فارقها في المضجع وتركها!

وكان ﷺ يناديها فيرخِّم اسمها، رحمة بها ومحبة، فيقول: «**يا عائش**»[٥].

وبعض الأزواج لا ينادي زوجته باسمها طيلة زواجه بها؛ بل بعضهم ربما سمى زوجته بهاتفه بأسماء منكرة؛ وهذا بذاء وجفاء، فأين التذمم والوفاء؟

وكانت تضعُ خدَّها على خدِّه، لتُبصِرَ لعبَ الحبشة، تقول

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٣) وصححه.
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٧)، ومسلم (٣٠١).
(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠)، ومسلم (٢٩٣).
(٥) أخرجه البخاري (٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧).

عائشة رضي الله عنها: حتى إذا مللتُ، قال: «**حسبك؟**» قلت: نعم، قال: «**فاذهبي**»[(١)]؛ فصلوات ربي وسلامه عليه ـ لم يستطل لُبثها حتى هي التي ملَّت من نفسها.

وكان يراعي مشاعرها؛ فيفطن لرضاها وغضبها، يقول لها: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى**» فتقول: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «**أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا وربِّ إبراهيم**» فتقول: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك»[(٢)].

بهذا اللطف يخاطبها النبي ﷺ وبعضهم قد يَعد هذا قدحاً في الشخصية، وخفي عليه أنه من الأخلاق النبوية.

وكان حبه ﷺ لعائشة متماسكاً؛ لا يزيله لحظةُ غضب عارضة، ولا هفوةٌ زوجية عابرة، فمرة استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ فسمع عائشة، وهي رافعة صوتها على رسول الله ﷺ فقال: يا ابنة أم رُومان، وتناولها، أترفعين صوتك على رسول الله ﷺ؟ قال: فحال النبي ﷺ بينه وبينها، قال: فلما خرج أبو بكر جعل النبي ﷺ يترضَّاها ويقول: «**ألا ترين أني قد حلت بين الرجل وبينك**»، قال: ثم جاء أبو بكر، فاستأذن عليه، فوجده يضاحكها[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (٢٩٠٧)، ومسلم (٨٩٢).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٨)، ومسلم (٢٤٣٩).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٩٩)، وأحمد (١٨٣٩٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٠٢): «رجاله رجال الصحيح».

وبعض الأزواج لأدنى هفوة، يفجر في الخصومة، ويهجر زوجه الأيام غير المعلومة!

ولما وقعت حادثة الإفك، وانتشرت قالة السوء في عائشة لم يتغير رأيه ﷺ فيها؛ بل قام على المنبر، وقال: «**والله ما علمت على أهلي إلا خيراً**»[(١)]، فأين هذا ممن يسيء التعامل مع أهله بمجرد ظنون كاذبة، وأخبار غير ثابتة؟

ومرة أرسلت إحدى نسائه قصعة فيها طعام في بيت عائشة، فضربت عائشة القصعة فانكسرت؛ فجعل الرسول ﷺ يجمعها، ولم يعاتبها سوى أن قال: «**غارت أمّكم**»، ثم دفع القصعة الصحيحة إلى التي كُسرت قصعتها، وترك المكسورة لعائشة[(٢)].

فليس من الحكمة أن يؤاخذ الرجل زوجاته في الأخطاء المعتادة.

والخلاصة أن من أراد السعادة الزوجية فليلزم هذه السيرة النبوية، ففيها السعادة والشفاء، والعيش الآمن والزكاء.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٥).